

## تصور الدين ونقده عند نيتشه

جانيت عبود\*

(تاريخ الإيداع 10 / 9 / 2017. قبل للنشر في 31 / 5 / 2018)

### □ ملخص □

يُعتبر الدين من أهم القضايا والظواهر الثقافية الإنسانية التي نالت القسط الوافر من اهتمام الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه نظراً لما يلعبه الدين من دور فعال في حياة الناس وفي تحديد سلوكهم وقيمهم المتنوعة وخاصة البسطاء منهم ، لذلك سعينا من خلال بحثنا هذا إلى التوقف عند النقد النيتشوي للدين ونشأته بهدف إظهار الموقف الحقيقي لهذا الفيلسوف من الدين وكل ما يتعلق به من جوانب سلبية وإيجابية على حياة المجتمعات البشرية .

الكلمات المفتاحية: الدين - الثقافة الإنسانية - قيم - النقد .

---

\* ماجستير في الفلسفة الغربية المعاصرة، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، اللاذقية، سورية.

## Religion Concept And Criticism at Nietzsche

Janet Aboud\*

(Received 10 / 9 / 2017. Accepted 31 / 5 / 2018)

### □ ABSTRACT □

Religion has been one of the most important phenomena of human culture, which has gained the deep attention of Nietzsche. In view of this, our research has sought to delve into the depth of the Nietzsche's critique of religion, which seeks to reveal the source or origin of the religion and the extent of its stiffness or Triviality. The interpretation methods has relied on revealing the value of interpretations given by the sponsors of religions in different concepts and their consequences, shedding light on the nature and the goals of the wills that control them.

**Keywords:** Religion-huminty culture- values –critic

---

\*Master- Dept. of Philosophy - Faculty of Arts Humanities - Tishreen University – Lattakia - Syria.

**مقدمة:**

لقد كان للروح الدينية أبلغ الأثر على الجانب النفسي خاصةً الجانب الفكري للكثير من الفلاسفة، فقد عزف باسكال عن الحياة الدنيوية إيماناً منه أن الإيمان وحده ينجي من الخطيئة وآثارها، وأنه وحده يقود إلى الإله وإلى الاتحاد به، واعتبر كانط وجود الإله وجوداً مسلماً به لا يحتاج إلى إقامة البرهان والحجة عليه، في حين أقام ديكرت حججاً عقلية على وجود الإله، إلا أن الأمر يختلف تماماً مع نيتشه، الذي لم يكن يعترف بعقيدة من العقائد الشائعة، وكل محاولة للكشف عن أي نوع من التأثير الخفي بالدين في تفكيره هي محاولة باطلة من أساسها كالقراءة التي قام بها كارل ياسبرز، والذي حاول من خلال محاولته إبراز إرادة عميقة لدى نيتشه في الارتقاء بالدين المسيحي من خلال نقده العنيف له، وروحاً دينية تتخفى وراء كل محاولة لتجاوز تلك الروح.

وعلى الرغم من ذلك الأصل الديني الذي تنتسب إليه أسرته، إلا أنه لم يتأثر بهذا الانتماء إلا سلباً، فقد مكنه فهمه للروح الدينية من أن يوجه لها أعنف النقد، وأشدّه وطأةً، ففهمه العميق للظاهرة الدينية أدى على ما يبدو إلى أن يكشف نقاط الضعف والعيوب التي اكتفتها في سياق الواقع، وتبعاً لهذا فإنه من المستبعد التوفيق بين الظاهرة الدينية وبين الفلسفة والأيدولوجيا اللتان نبعنا من صلب أفكاره ومن أعماق ذهنه.

ورغم أن المحاولة التي قام بها كارل ياسبرز تتصف بنوع من الالتزام بفكرة أو نتيجة مسبقة تهدف لربط نيتشه بالدين، فإنها بالنتيجة محاولة لتفريق علاقة تأثير وتأثر بالعقيدة المسيحية، إلا أن واقع الأمور يقول بأن نيتشه وفي خضم نقده اللاذع للمسيحية واليهودية قد استخدم أفكاراً دينية، فزادشت الشخصية الأساسية التي روت وبسطت العقيدة النيتشوية لنا، هي في واقع الأمور شخصية دينية من الشرق القديم، وهذا الأمر لا يقف عند هذا، فمنهج نقد الدين والأخلاق التي استخدمها نيتشه ترتبط في علاقة وثيقة بمجال التفسير الديني، فقد استخدم نيتشه الفيلولوجيا على نطاق واسع، وهو المجال الذي استخدم أيضاً في التفسير المسيحي واليهودي.

بهذا تبرز المشكلة الأساسية، في علاقة التصور النيتشوي للدين بمنهجه في نقد الدين من جهة أولى، ومدى نجاح هذا المنهج من جهة ثانية، وما علاقته بالمنهجية المستخدمة في التفسير الديني من جهة ثالثة. فالمنهج الجينالوجي الذي استخدمه نيتشه في نقد الدين، يتجاوز المناهج القديمة، وهو ليس محض منهج لغوي، إلا أن علاقته وثيقة بالفيلولوجيا. وتبقى هنالك أيضاً مشكلة أساسية مفادها: إذا قام نيتشه على دحض العقيدة الدينية، ونبذ أخلاقها، فما هي البدائل الفلسفية التي طرحها في سياق بناء الإنسان الأعلى. وإذا رسخ الدين انحطاط الأخلاق وتراجع أخلاق النبلاء، فكيف يريد نيتشه استرجاعها، هذه وغيرها من الأسئلة نسعى للإجابة عنها في هذا البحث.

**منهجية البحث:**

يعتمد هذا البحث على المنهج النقدي التاريخي، والذي سنستخدمه هنا للكشف عن العلاقات التاريخية التي أسست الظاهرة الدينية، والأفكار التي أنتجتها في هذا السياق، وذلك في خضم تفسيرنا لتصور نيتشه للدين، وتناولنا لنقد نيتشه للظاهرة الدينية، يقودنا إلى تحليل كل فكري من هذه الأفكار وإرجاعها إلى سياقها التاريخي والمادي التي ساهمت بإنتاج هذه الأفكار،

## أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على تصور نيئشه للدين، وتفسيره لتطور الأفكار الدينية، وذلك وفق السياق التاريخي لتطور هذه الأفكار، كما يبرز هذا البحث أهمية المناهج التي استخدمها نيئشه في نقده للدين، وتحليله تحليلاً دقيقاً، بما يساهم في كشف المشكلات التي يطرحها النص الديني، وبالتالي يهدف هذا البحث لإيضاح تطور الفكرة الدينية والأفكار التي تكتنفها، وأوجه النقد التي وجهها نيئشه للدين، وإيضاح المشكلات التي تطرحها الظاهرة الدينية في طريق تحقيق الإنسان الأعلى النيئشوي.

## النتائج و المناقشة:

### أولاً-التصور النيئشوي للدين:

يعتقد نيئشه أن الناس في العصور البدائية كانوا يجهلون قوانين الطبيعة، فهم يعتقدون - مثلاً - أنه حين يجذف المرء فإن ضربة المجداف ليست هي التي تحرك الزورق، فالتجديف على العكس ليس سوى طقس سحري بواسطته نرغم عفرينتنا على دفع الزورق إلى الأمام، وكذلك الحال مع الأمراض أو الموت فإنها لا تفهم على أنها ظواهر طبيعية وإنما تحدث نتيجة تدخلات سحرية.<sup>1</sup>

وهو بالفعل ما يكشفه فجر العصور القديمة، حيث لم يكن هناك فرق بين حركة دنيوية وحركة مقدسة، فلا شيء مستبعد عن المقدس وكل انشغال يومي كان طقسياً، مما يقلل من شأن المضمار الدنيوي ويجعل كل فعل كهنوتي. ومما يزيد من فداسة الطقوس كونها تسمح بجمع الإيرادات وتوجيه الأفعال وتنسيق النفوس وبالتالي الوصول إلى مرتبة من توازن القوى الفيزيائية والاجتماعية، وفي الصين القديمة مثلاً يعتبر تعديل أي طقس مهما كان بسيطاً جريمة تخل بالتناغم الجماعي الذي يصل بين المستويات المختلفة للإنسان وبالتالي يعاقب بشدة<sup>2</sup>.

وبطريقة شبيهة ساد اعتقاد يوناني قديم بوجود قوة ما تختص إما بكائن بشري أو أي شيء آخر لا يمت بصلة إلى البشرية، وقد يفوق البشر قدرة، وتكشف تلك القوة عن نفسها في هيبات غريبة كان تكون عصا او قطعة من حجر فيعتقد أن لها خصائص خارقة تنبئ ببشارات سحرية أو حركات طقسية. بمعنى أنها قادرة على أداء كل شيء يفوق القدرة المعتادة للإنسان ويخرج عن نطاق التطورات العادية للطبيعة، وتدعى هذه الدرجة من القوة (المانا MANA)<sup>3</sup>.

ويدل هذا التفكير، من دون شك على قصور الذهنية وضآلة معرفتها بالكون وبالظواهر الطبيعية، التي رفض العقل البشري فهمها كظواهر خالية من الروح، فقد جرى اعتبار النهر مثلاً كائناً حياً يمتلك قدراً من المان أي قدراً غامضاً من الإرادة الذاتية والقوة القادرة على إلحاق الضرر بالإنسان<sup>4</sup>.

إن هذه الطريقة في تأويل الظواهر الطبيعية ترجع في نظر نيئشه إلى أن الإنسان البدائي فهم الطبيعة على أنها غير معقولة وغامضة وتمثل مملكة الحرية والتعسف، والأكثر من ذلك فهمها كدرجة من الوجود أكثر من إنسانية (كإله).

<sup>1</sup> - نيئشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ترجمة محمد ناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998، ص131.  
<sup>2</sup> \*الطقس: تشتق هذه الكلمة من السنسكريتية (ريتا RITA)، والطقس سلسلة من الحركات يجري تنفيذها وفقاً لتناسق معين. راجع: لوك ينوا: إشارات، رموز وأساطير، ترجمة: فايز كم نقش، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001، ص45.  
<sup>3</sup> لوك ينوا: إشارات، رموز وأساطير، ترجمة فايق نقش، منشورات عويدات، بيروت، 2001، ص90.  
<sup>4</sup> - ه.ج. روز: الديانات اليونانية القديمة، ترجمة رمزي عبد الرحمن جرجس، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1965، ص23.  
 - المرجع السابق، ص24-25.

ولما كانت الطبيعة تحمل معها جميع هذه الخصائص كان وجود الفرد وسعادته، بل وجود المجتمع وسعادته خاضعان لنزوات الطبيعة، ولكي يتحكم الإنسان في حدوث الظواهر حسب ما يرغب به، ولكي يسيطر على هذا المجهول المرعب كان عليه، عن طريق السحر والتفكير الخرافي، إخضاع الطبيعة للقانون، وعن طريق هذا التفكير نشأت الشعائر الدينية، والتي من خلالها كان يهدف الإنسان إلى ترويض الطبيعة وتسييرها لصالحه<sup>5</sup>. وفي سبيل ذلك الترويض، دفعت الكثير من التضحيات والتضرعات الصامتة التي أخذت أشكالاً لا تحصى منذ التضحيات البشرية للمصريين من خلال عصور السلالات الأولى وحتى ضحايا الحروب العظمى، وأسرار القرايين المسيحية السبعة التي أصبحت مجرد رموز، وغيرها من الأشكال وهي تضحيات كرسيت كأفعال مقدسة تقدم كقرايين للقوى غير المرئية ابتغاء العون والحماية منها<sup>6</sup>.

ويبدو أن الصفة الغالبة على العقلية البدائية، هي طبع الصورة الإنسانية على العالم الخارجي، حيث تبدو ظواهر العالم، وكأن لها معنى إنسانياً، أو تستهدف عنايات بشرية بعينها. وهكذا رأينا العالم حسب التأويل البدائي، يحتشد بالآلهة التي ينبغي إرضائها على نحو إنساني تماماً. وبالتدرج يتسع تشبيه الطبيعة الخارجية بالإنسان إلى جميع الظواهر، حتى يتحول الكون إلى مجال مكبر لغايات الإنسان وأمانه<sup>7</sup>.

وهكذا فالروح الدينية، في رأي نيتشه، هي امتداد للتأويل البدائي الذي يفهم كل شيء من خلال السحر والخرافة والذي يرجع كل حادثة إلى إرادة واعية، خيرة أو شريرة.

وإذا كانت العقلية البدائية تملأ الكون بقوى خفية تتسبب في خلق الحوادث بطريقة إرادية، فذلك يكون تأويل العقلية الدينية مماثلاً لها، سواء تعددت القوى الخفية في نظرها أم توحدت<sup>8</sup>. وهذا يعني أن العقلية الدينية هي نقيض العقلية العلمية، فالأولى تفسر كل شيء من خلال قوى وإرادات واعية، والثانية تفسر كل شيء طبيعياً أي على نحو مستمد من منطوق الحوادث ذاتها<sup>9</sup>.

وعليه، أمكن القول أن تصور الدين ينشأ أساساً عن التصور البدائي أو الفهم البدائي لظواهر الطبيعة، هذا الأخير الذي يغفل كل تحليل طبيعي وسببي للحوادث، معتمداً على التأويل الساذج من خلال السحر والخرافة. هذا، ويتعمق نيتشه أكثر في بيان الأصل الأول لصورة الإله وهو الأصل القائم على الربط بين الأجيال الحالية والأجيال التي سبقتها. فالجيل الذي على قيد الحياة يعترف دائماً اتجاه الأجيال السابقة المؤسسة للسلسلة - أي السحيق منها - أن عليه واجباً حقوقياً، يتعدى الواجب الوجداني، مرجعه الاعتقاد أن الجنس لم يستمر في بقائه إلا بفضل التضحيات والإنجازات التي قام بها الأجداد الأولون، وأن الواجب يقضي بالوفاء اتجاههم بالتضحيات والإنجازات، فالأجداد الأولون ما يزالون يحيون كأرواح قادرة على الاهتمام بالسلالة، في مقابل أضحيات اتخذت في البدء شكل الأغذية، ثم تطورت إلى شكل أعياد، ومهرجانات، وبيوت للصلاة، وشعائر تقدير، وكلها مظاهر للطاعة شكلت ما يعرف بالأعراف<sup>10</sup>.

وعلى الرغم من جميع تلك الأضحيات، إلا أن الخوف والخشية من الجد الأول ما تفتأ تتعاضم بالضرورة كلما تعاضمت قوة العرق ويظل الشعور بالواجب يفرض من حين لآخر افتداء عظيم القيمة (مثل: التضحية بالمولود الأول،

<sup>5</sup> - نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سبق ذكره، فقرة 111.

<sup>6</sup> - لوك ينوا: إشارات، رموز وأساطير، مرجع سبق ذكره، ص91.

<sup>7</sup> - فواد زكريا: نيتشه "نوابغ الفكر الغربي"، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص53.

<sup>8</sup> - المرجع السابق، ص131-132.

<sup>9</sup> - المرجع السابق نفسه.

<sup>10</sup> - نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قببسي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1981، II، فقرة 19.

والتضحية بالدم البشري). ويجري تأويل الغلبة والظفر التي يحققها العرق، في مقابل تلك القرابين، على أنها رضى من الجد الأول وعظمها تمنحها الروح المؤسسة للسلالة، أما جميع ما قد يوحي بانحطاط العرق من تفهقر أو دمار أو حوادث مفعجة فيجري تأويله وفق منطق بدائي في حدوده القصوى، فالجد "الأكثر قوة" عليه أن يتخذ بعض المواقف التي تؤدي إلى خلق أحداث فظيعة، غريبة وشاذة لا تقبل التفسير<sup>11</sup>.

هكذا، يقود تتبع التاريخ البدائي، إلى كشف النقاب عن منشأ الشعور بالألوهية وهو شعور يعود إلى قضية العلاقة بين الدائن والمدين، حيث يتخذ الجد الأول بصورة حتمية وقدرية "صورة الإله" ويتضح بذلك كل أصل الآلهة "وهو أصل يعود في مبدؤه إلى الخوف!"<sup>12</sup>.

والشعور بالدين اتجاه الألوهية ظل يتعاضم خلال آلاف السنين، بنفس درجة نمو فكرة الإله والشعور بالألوهية، ولقد بين التاريخ من خلال الصراعات والانتصارات والمصالحات والاندماجات العرقية نحو الإمبراطورية الكونية الواحدة التي يوازيها السير نحو كونية الإلهي وتوحيده.

ولا شك أن ظهور الإله المسيحي يشكل أرقى ما توصل إليه في نظر نيتشه التعبير عما هو إلهي وفي نفس الوقت التعبير عن أقصى حدود الشعور بالواجب<sup>13</sup>.

وعلى الرغم من أن مفهوم الألوهية ابتدعه الإنسان، إلا أنه وبفعل النسيان الإنساني يكتسب صفته الموضوعية، ويُفرض شيئاً فشيئاً كمفهوم مجرد.

وبالتالي، يتحول "الإله" إلى مفهوم أعلى ينبغي احترامه كمقدس، وهو يعادل جميع المفاهيم المجردة من (المطلق والخير والحق والكمال) إن الأعلى والمقدس لا يولد من شيء آخر ولا يعرف النمو لأن ذلك ينقص من قيمته، فهو فوق كل اعتبار لأنه "علة في ذاته"<sup>14</sup>.

هذا، ويقدم "نيتشه" إلى جانب التحليل الموضوعي لنشأة العقلية الدينية، والذي على أساسه تحددت طبيعتها، تحليلاً نفسياً لها، فكلما سادت عقيدة ما، كان فيها رجل يؤمن بالوحي، حيث إذا كوّن فرضاً شاملاً عن العالم لم يستطيع تصور أن يكون كل النظام والجمال الكوني من صنع ذهنه هو فينسبه إلى قوة عليا، هي "الوحي"، ولعل ذلك ما يضيف على رأيه مزيداً من القوة، ويجعله بمنأى عن النقد والشك أي يجعله مقدساً<sup>15</sup>. وهكذا يعتقد الإنسان المتدين أن كل ما هو جميل وعظيم وخير ناتج عن قوة خارجية عنه، أي الإله<sup>16</sup>.

وببصر نيتشه، لدى الرجل المتدين، منطقاً سيكولوجياً يقول أن: الظواهر النفسية التي تبدو غريبة وثقيلة وشديدة كحالات الراحة، السعادة، الخضوع، أو الألم والقلق، توقظ لديه نوع من الشك في قدرته، حيث لا يتجرأ على تخيل نفسه علة لتلك المشاعر أو الحالات النفسية وبالتالي لا بد من أن يجد لها تفسيراً آخر يتجاوزها، وتفسيرها أنها محدثة من قبل سلطة خارقة أو قوة عليا تماماً مثلما يرجع المجرم المحترف حقه الكبير، أو الشاعر حبه العميق إلى قدرات فوق إنسانية مما يدل أن فكرة (الإله) تتكون سيكولوجياً، حيث تتحد من حاجة الإنسان إلى تصور إرادة غريبة وقوة تتجاوزها، تتحمل المسؤولية. لتكون الألوهية في الأخير تشخيصاً يرتدي فكرة العلة<sup>17</sup>.

<sup>11</sup> في المكان نفسه.

<sup>12</sup> في المكان نفسه.

<sup>13</sup> نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، II، فقرة 19.

<sup>14</sup> نيتشه: أقول الأصنام، ترجمة حسان بورقية و محمد ناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1996، فقرة 4.

<sup>15</sup> فؤاد زكريا: نيتشه، مرجع سابق، ص 132.

<sup>16</sup> Nietzsche, *la volonté de puissance*, OP, cit. 146, p209.

<sup>17</sup> Idem, 87, p111.

إن أصل الدين، يكمن إذن في ذلك الحاصل في الإحساسات، أو هو حالة من حالات تبدل الشخصية، ينشأ من خوف الإنسان من ذاته، وشكه في قدرته -كالمريض يشعر بثقل أحد أطرافه فيظن أن شخصاً آخر قد ارتكز عليه - فينسب جميع أفكاره إلى "الألوهية" حيث يشعر بلذة الانتصار من جهة ويضفي عليها طابعاً من التقديس يرتقي بها فوق مستوى الشك والريبة<sup>18</sup>.

ولأن الدين نتاج الشك في وحدوية الإنسان، فإن النتيجة حتماً تقود إلى تقسيم إنساني وآخر فوق إنساني، الأول ضعيف يثير الشفقة والآخر قوي مسيطر.

ولهذا السبب يبصر نيتشه في فكرة الدين حاجزاً يحول دون تكون ثقة الإنسان بنفسه وتأكيد له شخصيته، حيث تنسب جميع نواتج ذهن الإنسان إلى مصدر أعلى وأرقى من الذهن. فالإيمان بالآلهة الأديان إذن يتم على حساب تقديم البشر لأنفسهم لذلك يعد الدين في نظر نيتشه ظاهرة منحرفة وعقبة رئيسية تحول دون بلوغ الإنسان أعلى الدرجات شأنًا<sup>19</sup>.

إلى جانب الانحراف النفسي، الذي ولد الروح الدينية والشعور بالألوهية، يعيش الإنسان شقاءً نفسياً لعجزه عن حل مشكلة معنى وغاية الوجود الإنساني، فهو وجود بلا معنى وبلا هدف. وهكذا أضحت إرادة الإنسان في (أن يكون) مفقودة، وظل مصير البشرية يعلوه صوت يائس يتقله سؤال "لماذا وجود الإنسان؟" وأيضاً سؤال "لماذا هذا الشقاء؟" ولما كان الإنسان أعجز من أن يبرر ذاته أو يفسرها أو يؤكد لها فإن دخول المثال الزهدي يوهمه أن هناك شيء ناقص ويكشف عن معنى الألم وسبب لزومه، لأن ما أتعب البشرية هو خلو الألم من المعنى وليس الألم بحد ذاته، وإعطاء معنى للحياة أرفع من أن تفقد ذلك المعنى<sup>20</sup>.

ويتبين من هذا رغبة الإنسان من أجل بلوغ فرصة الخلاص، ومن ثم لم يعد ريشة في مهب الريح أو ألعوبة في يد الصدفة الغاشمة، وإن كانت جميع التفسيرات السلبية تتجه نحو السلبي. ورغم أن المثال الديني يحدد طبيعة ومعنى الإرادة ويوجهها نحو إرادة عدمية، تتخذ موقفاً عدائياً من الحياة، "إلا أن الإنسان يفضل أن تكون له إرادة العدم على ألا تكون له الإرادة بالمره"<sup>21</sup>.

ولعل اللغة هي حجر الزاوية والمسؤول الأول عن الخطأ والوهم والضلال الذي وقعت فيه الإنسانية، بحكم أن الأفكار تتولد في العقل، وتصاغ في الكلمة، وقد أخطأت اللغة نقلها وترجمتها، يقول نيتشه: "العقل" في اللغة: يا لها من عجوز كريهة مضللة! أخشى ألا يكون بإمكاننا التخلص من الإله لأننا مازلنا نؤمن بالنحو"<sup>22</sup>.

ومن خلال ما تقدم، يبدو أن نيتشه يحاول إحلال ثقافة الإلحاد كبديل عن ثقافة الإيمان بالآلهة، بناء على النتائج القاسية التي أفضى إليها المنهج التأويلي التاريخي المسلط على بداية وأصل الشعور بالألوهية.

ويبدو أن تأويله يقترب وبطريقة شبيهة، من التأويل الماركسي لمسألة الاعتقاد في الإله والأسباب الدفينة الكامنة خلف نشأتها. فقد لاحظ ماركس أن كل ضرب من الموقف الديني اغتراب لشطر من الماهية الإنسانية، يسيء إلى الإنسان. والاعتقاد في الإله هو أكثر أنواع الاغتراب الديني النظري وأشدّها تطرفاً. ولأنه رأى أن إشارات السلف الغامضة إلى تعاسات الإنسان ورغباته باعتبارها الموطن الذي ولدت فيه فكرة الإله، فقد أعاد البحث عن أسباب أكثر

<sup>18</sup> Nietzsche, la volonté de puissance, OP, cit. 87, p111

<sup>19</sup> فواد زكريا: نيتشه، مرجع سابق، ص 132.

<sup>20</sup> نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، II، فقرة 28.

<sup>21</sup> - المكان نفسه.

<sup>22</sup> نيتشه: أقول الأصنام، مصدر سابق، العقل في الفلسفة، فقرة 5.

تخصيصاً وراء إسقاط الإنسان لمثله العليا في عالم آخر، ووجدها في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الطاحنة في الحياة<sup>23</sup>.

وعلى الرغم من اختلاف الرؤية بين ماركس ونييتشه، حول الأصل الأول لفكرة الألوهية، إلا أنهما يشتركان في رفض الفكرة بناءً على قيمتها، وتأثيرها على الإنسانية. فماركس لم يكن ملحداً بسبب لا واقعية الإله فحسب، بل لأن التسليم بالإله يعزل الإنسان عن نفسه وعن الطبيعة<sup>24</sup>. وبلوغ التحرر الإنساني الذي يحول الإنسان إلى السيد الأوحد للعالم، لن يتحقق في نظر نييتشه إلا بعد أن يتخلص الإنسان من ذلك التفسير الوهمي الذي يجعل من الإله مصدر النظام الكوني وأساسي القيم المتعالية<sup>25</sup>.

ويأخذ الصراع ضد التفسير الوهمي عند نييتشه شكل الصراع ضد "الإله" أو ذلك الصنف من "عنكبوت" الأوامر والنواهي والغائيات الذي يتخفى وراء شبكة السببية الواسعة<sup>26</sup>.

وينسخ "الإله العنكبوت" في نظر نييتشه نسيجاً وهمياً من المفاهيم والتفسيرات التي أصبحت تفسيرات بالية، وكاذبة وتافهة وهي تفقد معناها إن كان لها معنى من الأساس، أمام صدى الوعي الفكري خاصة الأوروبي الحاضر فإذا ما تغلب عليها يكون قد حقق الانتصار الأكبر على الذات<sup>27</sup> وإذا ما قضى الإنسان على تفسيراته الخرافية الدينية، وتخلص من مخاوفه، تجاوز الانحطاط وبلغ أعلى درجات التقدم والتحرر<sup>28</sup>، ويدل هذا الطموح إلى التجاوز لدى الإنسان على أن الأمر لم يعد يتعلق باستحالة نظرية لإثبات وجود الإله أو تقريراً للواقع الحضاري بأن الاعتقاد في الإله فقد انتشاه الواسع، إنما يدل على أن أحداً لم يعد يعتقد في الإله لأن الإله لم يعد قابلاً لأن يعتقد فيه أحد ولم يعد جديراً بتصديق الإنسان وتأييده<sup>29</sup>. يعتقد نييتشه في هذا الصدد: "..... أننا نرى الآن أن كل ما كنا نبجله كاله لم يعد شبيهاً بالإله، بل شيئاً تعسا معقولاً ضاراً ولم يعد هذا مجرد خطأ بل جريمة ضد الحياة إننا ننكر الإله من حيث هو إله"<sup>30</sup>.

إن التأويل النفسي كما يقوده نييتشه، يتطلب أن يكون هذا المعنى هو المعنى الأوحد الذي يتمتع به إذ الانحلال الحضاري لفكرة الإله يعبر عن انحلال النوع الوحيد من الوجود الذي تمتع به الإله<sup>31</sup>. وهو الانحلال الذي يعبر عنه نييتشه بـ << موت الإله >>، والذي يقع كضربة المطرقة على تاريخ وحاضر الثقافة الدينية الإنسانية. وهو حين يعلن عن ذلك، لا يفعل أكثر من ترديد نغمة عزفها هيغل، ولكن وبدلاً من جعلها مقدمة للوصول إلى حقيقة الروح المطلقة، جعلها نتيجة للخطأ الذي نقع فيه نتيجة تصورنا عن الروح المطلق. وفي حين يفسر هيغل موت الإله في حدود صيرورة يحتويها المطلق في داخله، بصورة مسبقة، يفصل نييتشه عن سياق الروح المطلق ثم يأخذ الإله "كمرادف" للوهم المطلق. ولهذا يموت الإله، لأن النزعة المطلقة عن الروح اللامتناهية الأبدية تعرض نفسها كاختلاق قاتل من صنع

23- جيمس كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة/نيويورك، (د.ت) 1979، ص385.

24- جيمس كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص357.

25- نييتشه: أفول الأصنام، مصدر سابق، الأخلاق طبيعة مضادة، فقرة 5.

26- نييتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، الأخلاق طبيعة مضادة، فقرة 5.

27- المصدر نفسه، III، فقرة 27.

28- نييتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سابق، فقرة 20.

29- جيمس كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص370.

30- المرجع السابق، ص369.

31- في المكان نفسه.

العقل البشري<sup>32</sup>، وحتى حين نقرأ موضوعة موت الإله الهيجلية، إلا أنها تبدو وبلا معنى، إذ ما جدوى ملء المكانة الفارغة التي يتركها الإله بفلسفة خاضعة لتأويلات زائفة ما تلبث تخنق الإنسان وتؤكد عبوديته بدلاً من تجدد<sup>33</sup>. هكذا يعتقد نيتشه أنه قد توصل إلى إمطة اللثام عن أصل الدين، والكشف عن طبيعة التفسيرات التي قام على أساسها، والتي تكشف عن أسباب انحطاطه وجعله أقوى ظاهرة في تضليل الإنسان والحط من قدرته وقيمه.

### ثانياً- التأويل الديني كطريقة للانتقام:

بعد أن دحض التأويل النيتشوي بشكليه، الموضوعي والنفسي، مسألة الشعور بالألوهية لدى الإنسان (كفكرة)، أو بالأحرى، بعد ان فسر الظاهرة الدينية كما تبدو من الخارج، متجلية عبر الحقب التاريخية، ينتقل التأويل إلى الجانب الآخر من المسألة، أي جانب المحتوى والممارسة أو تأويل الدين كعقيدة. لقد سجل الاختلاق الإنساني في نظر نيتشه صعوداً تدريجياً من الشكل البدائي للدين نحو آلهة تتضح شخصياتها، وتتحدد صلاتها، أو تندمج في إله واحد، وهو الاختلاق المتجه من الخارج إلى الداخل<sup>34</sup>. وإلى هنا يكشف التاريخ الديني عن وجود ديانات وتميز كل ديانة عن الأخرى بتفاصيل أو بالأحرى تأويلات. وهو الميدان الذي يجد فيه التأويل، مادة اشتغاله والواسطة التي يصل بها إلى غايته.

تحتل فكرة الخطيئة الدينية موقع المركز في الديانات، ولقد تفننت كل ديانة في خلق التأويل اللازم لها، لاسيما وأنها تشكل رابطة - وإن كانت سلبية- بين الإنسان والإله فلقد كان ارتكاب الخطيئة الدينية أكثر ما يسوء الإله، والإنسانية وقد تمت بوجه العموم، أن تكون آلهتها طيبة، وكثيراً ما نظرت إليها على أنها واهبة الفضائل<sup>35</sup>.

### فما هي الأبعاد التي يخفيها تأويل فكرة الخطيئة؟ أو ما هو الشعور الديني للخطيئة حسب نيتشه؟

حسب ما سبق، نشأ تأليه الجد الأول عن الشعور البدائي بالدين، وضرورة الوفاء به، ثم أصبح بعد ذلك الإحساس الداخلي بالبلاء هو أصل الدين أو التدين. فلقد شرعت الأديان واليهودية خصوصاً، في تفسير الشر على أنه نتيجة لارتكاب "إثم" أو "خطأ"، وهي طريقة قلبت المفهوم الطبيعي عن العلة والمعلول، فعندما نلغي العلة الطبيعية يجري البحث عن علة مضادة للطبيعة أي للإنسان<sup>36</sup>.

لقد جرى مثلاً تأويل البلاء الذي حل بالشعب اليهودي بعد سلسلة الهزائم التي حلت به على أنه نتيجة لعدم طاعة الإله. وهو إله تحققت بفضل له لصالح شعب إسرائيل أقدار عظيمة، لكن ونظراً لما لاقاه الشعب اليهودي من خسائر التجأ القساوسة إلى حيل تأويلية ينفذون من خلالها صورة إلههم العادل والناصر مفادها أن ظفر الإنسان وسعادته هو جزء من الإله، لكن التعاسة هي عقاب الرب الناتج عن ارتكاب الإنسان للخطايا وعصيانه له.

وهكذا، نجد ان الإله في اليهودية قد جرى استعماله في تأويل الشر، فعلى الرغم من أنه عادل وقدير وقوي، إلا أنه قد أصبح ناقماً ومنقماً وكل خطأ هو إساءة وجريمة في حق الجلالة التي يتمتع بها<sup>37</sup>.

<sup>32</sup> جيمس كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره، ص 369.

<sup>33</sup> أندريه نواراي: تاريخ الفلسفة منذ هيجل، ترجمة خليل أحمد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت) ص 17.

<sup>34</sup> هنري برغسون: منبعا للأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي وعبد الإله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1971، ص 191.

<sup>35</sup> المرجع السابق، ص 219.

<sup>36</sup> Nietzsche, l'antichrist, trad, Dominiquetassel, unioingrnerale d edition 1985 25

<sup>37</sup> نيتشه، العلم المرح، ترجمة حسان بورقية و محمد ناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1993، فقرة 4.

<sup>37</sup> -فؤاد زكريا: نيتشه، مرجع سبق ذكره، ص 132. فقرة 135.

هذا، ويبدو لنيتشه، أن تأويل اليهودية الذي يذهب إلى أن كل خطأ ضد يهوه يتبعه عقاب، وكل حسنة يتبعها جزاء منه، يؤكد أن قيم المجتمع وقيم الفرد إنما تقاس بالإذعان المطلق للإرادة الإلهية، وتسير تبعاً لذلك فكرتا العقاب والجزاء وفق الإذعان لتلك الإرادة أو عدم الإذعان لها.

ولا يرى نيتشه، فيما وراء التأويل اليهودي للخطيئة، خلواً من الضغائن والحيل والتزوير، إنما يبصر خداعاً وتلاعباً يرمي إلى غاية منحطة.

إذ الفترة الكبرى من تاريخ إسرائيل، شهدت انتصارات عديدة تحت حكم الطبقة الأرستقراطية، في حين لعب الكهنة، دوراً ثانوياً فحسب، لكن الانتصار عقبته هزائم كبرى، شكلت الظرف المناسب بالنسبة للكاهن، ولطموحه إلى السلطة والسيطرة ورغبةً في إحداث الشقاق داخل الطبقة الأرستقراطية. ووسيلته في ذلك إحداث التحولات داخل التقييمات النبيلة. إن التأويل الديني لكي يكون فعالاً، يشترط تعميمه (فمثلاً لأن الشعب هزم، فلأن الذنب والخطايا قد تتالت، وبالتالي كان جزاء العصيان على وجه العموم، وفي كل الظروف هو سخط الرب على العبد....) هكذا أدركت الطبقة الكهنوتية المرضية أن النصر على الأرستقراطي السليم يستلزم قلب جميع قوى الفكر وعلى الإنسانية أن تعاني من كل ما هو متخيل ومختلق. فالسلطة لا تتحقق إلا حين يشرع الإنسان في أن يصبح حيواناً مفيداً، "أن يبرئ الأعماق وسوء النية والخبث".

هذا التأويل، وباعتباره العداء الموجه إلى الفعل، هو حيلة رجل الدين في إحداث التحولات على المفاهيم الإلهية، وتزوير ماضي الشعب اليهودي، بعكس تراتب القيم، وتنظيم تقييمات الضعفاء ومنحها سلطة إلهية، من أجل تقوية ضعف المرضى وتحويل قوة الأرستقراطي إلى مرض. وفي الوقت ذاته المحافظة على التفوق التراتبي للطبقة الكهنوتية<sup>38</sup>.

ويحدث تأويل الخطيئة، تغييراً وتحركاً على مستوى المفاهيم: إذ ينتقل مفهوم (التفوق) أو (الانتصار) من المعنى السياسي له إلى المعنى السيكولوجي، حيث تنظم دوافعه وترفع عمداً إلى المجرد والمطلق. وذلك من شأنه أن يجعل الإنسان ضعيفاً ومبتدلاً ومعتزلاً بخطاياهم وأثامهم، مستسلماً لما يلقاه من عقاب ومصير، بل إنه عند ارتداد الإرادة الفاعلة إلى الداخل يحل محل الاستمتاع بالذات حالة تلذذ بالعقاب. وبعبارة أخرى يجري في اليهودية تأويل الخطيئة وفهمها على أنها الوعي الذي يضاعف الألم باستبطان القوة إلى الداخل.

هكذا إذن يتجاوز التأويل اليهودي للخطيئة عواقب الفعل الطبيعية، ليحكم على الفعل من خلال عواقبه فوق الطبيعية، ولذلك فهو في نظر نيتشه فاسد يصوغ قانوناً أبلهاً يوحد بين السعادة والجزاء، والشر والعقاب وهو ليس في الحقيقة إلا حيلة وذريعة مجموعة من القساوسة أو الكهنة الذين يلمعون وبيروزون "باسم الرب" ويحلون "مملكة الرب" محل "إرادة الإنسان"<sup>39</sup> فجذلية الطاعة والعصيان هي لعبة الكاهن التي بواسطتها يحافظ على قدرته وسيطرته على الشعب اليهودي الذي أصبح مذعناً إذعاناً مطلقاً للقدرة الكلية للكهنة، الأمر الذي جعل من الحقبة التاريخية لإسرائيل بين أيدي هؤلاء الكهنة حقبة انحطاط واستعباد.

إذن يتخذ التأويل اليهودي للخطيئة مظهراً من مظاهر إذلال الإنسان والحط من قيمته، وجعله متعلقاً بإرادة كائن متعال، فالخطيئة جريمة في حقه، لا في حق الإنسانية، وليس غير سبيل التوبة والإذلال والاحتقار يحقق الغفران

<sup>38</sup> جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1993، ص 165.

<sup>39</sup> نيتشه: العلم المرح، مصدر سبق ذكره، فقرة 135.

الرياني، في الوقت الذي لا يبالي فيه (إله اليهود) بما قد يلحق المتدينين من متاعب وأضرار إثر ما يخلفه الإثم من عواقب<sup>40</sup>.

إن اليهود في تقدير نيتشه هم الشعب الأكثر تميزاً في تاريخ العالم بحكم مواجهتهم لمشكلة الوجود واللوجود إذ جعلوا من ذواتهم نقائضاً للظروف الطبيعية، وأفسدوا بشكل متواصل ومنتابح، وبطريقة غير قابلة للعلاج مفاهيم (الدين، المقدس، الأخلاق، التاريخ، النفس،....) وكانت تلك هي التربة التي غذت المسيحية .

ولذلك يعتقد نيتشه أن تأويل الخطيئة في المسيحية يتخذ اتجاهاً مشابهاً له في اليهودية، ولكن أكثر عمقاً لأن المسيحية هي نتيج ونبتة لليهودية وهي تجد فيها كل مقدماتها، إنها خلاصة تلك المقدمات. لكن المسيحية تأتي بنغم ووتيرة جديدين، فإذا كان التجسد الأول لفكرة أصل الخطيئة هو "اعتراف الإنسان بها" (هذه غلطتي)، فإن التجسد الثاني لها بشكلها المسيحي لا يكفي في أن يتهم الإنسان ذاته، وإنما يشعر بأنه مذنب<sup>41</sup>، أي أن يبلغ هذا الإحساس ذروة قوته المعديّة، بحيث تصير كل حياة مذنبّة<sup>42</sup>.

وليس مفهوم <<الذنب>> ، مفهوم مسيحي بالأصل، إنما اتخذ أشكالاً عديدة بفعل تطورات مختلفة وإن كانت العلاقة بين الدائن والمدين، في نظر نيتشه، تأخذ بعداً أخلاقياً أكثر منه دينياً، إلا أن مسألة الدين وما تقتضيه من واجب تتصل ببعض المسبقات الدينية، حيث يجري تخليق مفهومي (الدين والواجب) وربطهما بالذنب، ويكشف التحليل التاريخي أن مفهوم "الدائن" لم يأخذ شكلاً واحداً بعينه: فقد تعلق بالجد الأول أي السبب الأول للإنسان (كما رأينا سابقاً)، أو بالطبيعة التي خرج الإنسان من رحمها (مبدأ شيطنة الطبيعة)، أو بالوجود الذي لا يستحق أن يعاش (التشاؤم من الحياة، التوق إلى العدم...) وصولاً إلى التأويل المسيحي أو الحل المسيحي لمفهوم الدين وكل ما فعله أن غير اتجاه الدين وطبيعة الدائن<sup>43</sup>.

إن الإله بوصفه دائن، وقد أثقلت كاهله قضايا البشر، عمد إلى الدين لنفسه، ولكي يفي دين الإنسان يتقدم بنفسه كفدية ووحدة يتوصل لتحريره مما كان في نظر الإنسان نفسه أمراً لا يغتفر .

إذ يضحى الدائن بنفسه أمام مدينه بدافع المحبة له! وهكذا تتحول الغرائز الإنسانية من عداء وعصيان للمعلم أو الأب، الجد الأول أو مبدأ العالم إلى "ذنوب" اتجاه الإله<sup>44</sup>.

والمسؤول عن هذا التحويل لمفهوم الخطيئة "يهودي" هو القديس بولس\* الذي قام في نظر نيتشه بتحريف المسيحية الحقيقية، وأعطاه أبعاداً أخرى مختلفة، لتصبح الخطر الأكبر على المسيحية، وتقديره لموت المسيح هو أخطر تأويل قام به، فالمسيح في رأيه مات لأجل خطايانا، أي بفعل ذنوبنا: والإله لم يرفع ابنه على الصليب إلا بفعل المحبة، ليجعله فدية، يفندي بها البشرية<sup>45</sup>. يقول بولس: ".... فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص. لأن الإله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص برينا يسوع المسيح الذي مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه. لذلك عزوا بعضكم وابتوا أحدكم الآخر كما تفعلون أيضاً"<sup>46</sup>.

<sup>40</sup> -نيتشه: العلم المرح، مصدر سبق ذكره، فقرة 135.

<sup>41</sup> -جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، مرجع سبق ذكره ، ص169.

<sup>42</sup> -نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سبق ذكره ، III، فقرة 16.

<sup>43</sup> -نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، III، فقرة 21.

<sup>44</sup> -في المكان نفسه.

\* بولس: (2م-67م) ولد طرسوس، تعلم الدراسات الربانية في أورشليم، لعب في البداية دوراً قيادياً في اضطهاد المسيحية لكنه تحول بعد ذلك إلى أهم المبشرين بها.

<sup>45</sup> نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سبق ذكره ، II، فقرة 22.

<sup>46</sup> -العهد الجديد: أعمال الرسل، رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى، الإصحاح الخامس، 5-11.

إن المسيح إذن لم يمت إلا بسبب البشرية ولأجلها، ويذهب بولس في تفسيره إلى أن المسيح هو المخلص باسم المحبة، وعلى الإنسان أن يرد على هذه المحبة بقدر ما يحس أنه مذنب، وعلى الإنسانية جمعاء أن تحس بالذنب اتجاه ذلك الموت، والأكثر من هذا أن تحس بضرورة قضاء الدين<sup>47</sup>.

**ويبصر نيئشه في التأويل البولسي عبقرية تمتزج بكثير من الفظاعة والخبث، تقود الإرادة الإنسانية إلى العدم:** إرادة الإنسان في أن يجد نفسه مذنباً إل حد يكون فيه التكفير عن الذنب ضرباً من الاستحالة، إرادته في المعاقبة دون بلوغ الموازنة بين مرتبة العقاب والذنب، إرادته في تعفين وتسميم معاني الأمور وفي إنشاء مبدأ الإله القدوس ليقارن الإنسان حقارته المطلقة بمثاليته المطلقة. وهو تأويل يصدر عن فكر تحركه إرادة منحرفة، أدى إلى انتشار أكثر الأمراض الإنسانية خطراً<sup>48</sup>.

ويبدو أن التأويل البولسي قد جعل من الجميع منهكاً لإحساسه الفظيع بالخطأ، ومن الحياة صورة ضعيفة ارتكاسية، ولهذا يراه نيئشه ضلالاً وتزييفاً متعمداً.

والظاهر أن بولس يكرر في كثير من رسائله، أن المسيح قد اختاره ليكون أميناً على عقيدته وحاميها الأعظم، يقول مثلاً: ".... وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني إنه حسبي أميناً إذ جعلني للخدمة. أنا الذي كنت مجذفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكني رحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع....."<sup>49</sup> " إلا أن قراءة (أعمال الرسل) تؤكد أن بولس يتحدث في الكثير منها وفقاً لتفكيره الخاص<sup>50</sup>. ولأن غايته كانت فرض السيطرة، فهو لم يتوقف عن خلق وسائل في شكل أفكار ورموز وأهمها رمز (الموت على الصليب) يسعى من خلالها إلى قهر الجماعات وتشكيلها كقطيع يؤمن أن كل ما هو غريزي، وحي، ومغرض، يثير المخاوف والشبهات، وكل ما أصبح يشكل "معنى" الحياة هو الحياة بأي معنى أو بالأحرى الحياة في أحقر وأضعف معانيها.

**ونظراً لقيمة التأويل البولسي ودناءة الغاية، جاء تفسير الخطيئة - الذي أصبح بعد التعميم الحاصل عليه الرمز الأكثر خطورة في التراث المسيحي - خالياً من كل معقولة أو حجة.**

ونظراً إلى ذلك فإنه، بإنكار الإله، يختفي في نظر نيئشه الإحساس بالخطيئة، ويتخلص الإنسان من لواحق الندم وخشية العقاب. لأن الإنسان والطبيعة أبرياء، والخطيئة مجرد وهم ناشئ عن انحراف نفسي، ورغبة شاذة في معاقبة الذات وتأنيبها.

ولأن نيئشه يحاول إرساء طريقة في القراءة، تطمح إلى الموضوعية من خلال القراءة الجادة للنصوص، فإن تناوله للأناجيل، وهي النصوص الدينية المقدسة، أكد صعوبة قراءتها. لأنها من أكثر النصوص تقنعاً، فكل معنى يخفي أخطر المعاني، وبين العبارة والأخرى تسكن الدلالة الخبيثة بجوار الدلالة الواضحة. وهذا ما يستوجب قراءة فيلولوجية فطنة ومركزة.

وفي الإنجيل تتكرر الكثير من المفاهيم التي يراها نيئشه فساداً أو تحويلاً خاطئاً للقيم الطبيعية زادت المنظر الإنساني تلوثاً. ومن المفاهيم الأكثر شيوعاً وتردداً فيها فكرة "العالم الآخر".

<sup>47</sup> جيل دولوز: نيئشه والفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 197.

<sup>48</sup> نيئشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سبق ذكره، II، فقرة 222.

<sup>49</sup> العهد الجديد: رسالة بولس إلى نيموتاوس، الإصحاح الأول، 12-17.

<sup>50</sup> سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسية، ترجمة، حسن حنفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، 1994، ص328.

والقديس بولس هو الذي ابتدع في نظر "نيتشه"، فكرة "العالم الآخر" و"يوم الحساب الآخر" و"الصعود إلى السماء"، وجميع ما شابه ذلك من الأمور العظيمة الأخرى، ليبشر من خلالها العالم المسيحي بنيل المكافأة والسعادة الأبدية في عالم ما بعد الموت<sup>51</sup>. يقول نيتشه أن بولس كان يسعد بنقل جاذبية كل هذا الوجود وراء الوجود؛ فهو يضع وزن الحياة، لا ضمن الحياة وإنما فوق الحياة. أي في العدم، وهو بذلك يخصص للعالم الآخر كل الجاذبية الإنسانية، ويجعل العالم الدنيوي بلا قيمة والحياة مهما كانت بلا معنى، والمؤول الأكبر للمسيحية يقول: "أما تعلمون أنكم هيكل الإله وروح الإله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الإله فسيفسده الإله لأن هيكل الإله مقدس الذي أنتم هو"<sup>52</sup>.

ولا يرى نيتشه في نصوص الحواريين، إلا دعماً لمنحى التأويل البولسي، في مثل: "لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله ويره وهذه كلها تزداد لكم"<sup>53</sup>. أو "إن أعثرتك عينك فاقلعها. خير لك أن تدخل ملكوت الإله أعور من أن تكون لك رجلان وتطرح في جهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ"<sup>54</sup>.

وهكذا ينقلب مفهوم الموت من كونه مصيراً طبيعياً إلى مرض يعانيه الإنسان المسيحي، يرادفه الخوف من الجحيم، وهو الخوف الذي يضعف من إرادة الحياة لأن الإنسان المبدع يرغب في الموت حين تتوقف قواه الإبداعية عن النمو والارتقاء، لكن الإنسان المريض متطفل ولا يملك غير فرصة تحرير الآخرين من محنة وجودهم<sup>55</sup>.

ويرى نيتشه خلف فكرة الأبدية ومملكة الرب محاولة لخلق "عالم مثالي" و"غائية خيالية" تعبر عن رغبة خفية للإفلات من الواقع، وقلماً عميقاً اتجاه كل ما هو حي ومقتدر. وهو ما يتطلب الهروب بواسطة الكذب من الواقع، لنشر مشاعر الألم على حساب مشاعر اللذة. وتلك هي وسيلة بولس لصياغة انتقامه الأسمى من الحياة ومن الإنسان، وليرسخ بشكل جذري طغيان الكهنوت وسيطرته وليساهم بالأمر الفعلي في مسيرة انحطاط المسيحية، وبالتالي فإن سيادة القديس بولس تعني في الوقت ذاته سيادة جميع قيم الانحطاط باسم الإله، الذي جعلت المسيحية فكرته أكثر الأفكار فساداً، فلقد تدهور الإله فأصبح نقيضاً للحياة بدلاً من كونه تجلياً وقبولاً أدياً لها، لقد أصبح إعلاناً للحرب ضد الحياة والطبيعة وإرادة الحياة، فالإله المسيحي هو صيغة تشويه للعالم ولكل أكذوبة عن العالم الغيبي<sup>56</sup>.

والإيمان المسيحي تعبير عن إنكار الذات وللاعتزاز الذاتي، ولا يرى نيتشه تعارضاً بين الكذب والإيمان، فإن كان الكذب نظرياً هو عدم الرغبة في رؤية ما يمكن رؤيته كما تجب رؤيته، فإن الإيمان هو الكذب عملياً، إن المؤمن متواكل، لا يستطيع وضع الغايات بنفسه ولا يشعر بالانتماء إلى ذاته ولا يملك الحق والرغبة معاً من السؤال عما هو "حقيقي" أو "غير حقيقي" ما هو "قيمة" أو "لا قيمة"، ما هو "خير" أو "شر"، فالإله هو المعلم ومناج الإرادة، ورجل الدين يمثل حافظ صوته، الذي يلعب دور المتقنن في الكذب، وأشكال التأويل الكهنوتية هي نتاج "الكذب المستتر"<sup>57</sup>.

هكذا إذن، قلب التأويل المسيحي جميع المفاهيم، وعكس دلالات القيم جميعها، فلقد صنعت المسيحية من كل قيمة لا قيمة، ومن كل حقيقة كذباً. إن المسيحية في نظر "نيتشه" نفتت السم في الحياة من جراء فكرة الخطيئة وهدمت نظام المراتب منجراً مساواة النفوس أمام الإله، ونفتت الواقع من جراء اختلاق فكرة العالم الآخر.

51- أويغن فبك: فلسفة نيتشه، ترجمة إلياس بدوي، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، 1974، ص163.

52- العهد الجديد: إنجيل متى، الإصحاح 1-7.

53- العهد الجديد: إنجيل مرقس، الإصحاح 9-49.

54- صفاء عبد السلام علي جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2001، ص345.

55- أويغن فبك: فلسفة نيتشه، مرجع سبق ذكره، ص163.

56- يسري إبراهيم: نيتشه عدو المسيح، سنا للنشر، القاهرة، 1900، ص116.

57- أويغن فبك: فلسفة نيتشه، مرجع سبق ذكره، ص164.

هذا ولا يختلف الأمر، في نظر نيتشه، بالنسبة للإسلام، الذي يعتبره امتداداً للمسيحية، فهو ينتمي في نظره إلى تلك الأصناف من التأويلات التي تكرر سيطرة الكاهن وسيطرة "العالم الآخر" وبهذه الصفة، فإن الإسلام في زعم "نيتشه"، مثله مثل أي تأويل ديني، إنشاء كاذب. غير أن تقييم نيتشه للإسلام كان متأثراً برفضه لكل ما هو مسيحي ولهذا يقول: "إن الحق مع الإسلام حين يزدي المسيحية، والحق معه ألف مرة لأنه يقتضي الرجولة". لقد استطاع المجتمع الإسلامي عن طريق القرآن من جهة، والانتصارات العسكرية من جهة أخرى، أن يؤمن بإله يحمل تصوره لإرادة القوة، واستطاع أن يبتعد عن الخطر اليهودي الذي جعل اليهود يحولون إلههم إلى مثال للطيبة، بعد سلسلة الكوارث السياسية والخسائر العسكرية التي حلت بهم.

وينتقل نيتشه إلى الديانة البوذية، التي على الرغم من تقاربها مع الديانة المسيحية في النزعة العدمية إلا أنها في اعتقاده، قد كانت ديانة واقعية وموضوعية في طرحها للمشاكل، فهي لم تكن بحاجة إلى تأويل الألم أو الشر بربطه بالخطيئة، أو السعي إلى محاربة الخطيئة، وإنما وجهت كل جهودها إلى محاربة المعاناة. لقد أحس البوذي بالقلق إزاء هشاشة الأشياء، وبالمرارة اتجاه جميع ما هو فان، لذا كانت الفكرة البوذية الرئيسية: "إيجاد سبيل لتخطي الألم الإنساني".

ومن أجل ذلك، كان بودا(\*) بعيداً عن منطق الخير والشر، مراعيًا حساسية الإنسان المفرطة وقدرتها على الألم، متجنباً كل ما هو روحاني ومن شأنه أن يعرض فطرة الأشخاص إلى أضرار وآلام لمصلحة المجهول. وارتفع بودا إلى على الألم فوجدها أيضاً في الرغبة عامة، أي في التعطش للحياة فكان بذلك طريق الخلاص أمامه واضح.

وهكذا يلتجئ بودا إلى تقنيات وسبل تأويل من شأنها أن تبعد الإنسان عن المعاناة والإحساس بالألم: فالحياة المتشردة، والزهد، والحذر من كل الروحانيات، ومن جميع الانفعالات والأحاسيس التي تجلب القلق، والابتعاد عن الانشغال والاعتماد على الغير، كل هذه السبل كفيلاً في نظر بودا أن تحقق للبوذي الراحة والبهجة والسلامة بعيداً عن كل أمر جازم ودون أي ضغط داخل الجماعة.

فإذا كانت السبل المسيحية تؤدي إلى سيادة المرض و"ترويض" الإرادة الإنسانية، فإن السبل البوذية تؤدي إلى نهاية وإفشال الإرادة الإنسانية.

ويستنتج نيتشه بعد تحليله لتأويلات هذه الأديان لفكرة الخطيئة أن معظمها يتجه نحو إلقاء اللوم على الإنسان. إلا أنه يستثني الديانة اليونانية من هذا الحكم، فالإنسان اليوناني لم يكن يحمل عبء الخطيئة، وقد استطاع ان يتخلص ويتردد عنه الإحساس بالذنب، عن طريق اختراعه آلهة تحمل عبء الخطأ عنه.

والواقع أن آلهة اليونان لم تخضع في نشوئها وتطورها لأي قانون، إنما ترك اليونانيون العنان لغرائزهم تفعل ما شاء لها. وهكذا كان لكل إله صورته وطباعه وتاريخه، وله مغامرات تروي وتراه خاضعاً لهوى الفنان والشاعر، ولولا أن له بعض القدرة في التحكم في القوانين الطبيعية، لخيّل أنه شخصية روائية فحسب<sup>58</sup>.

لقد كان العالم اليوناني في نظر نيتشه - على خلاف العالم اليهودي مشرع الخطيئة ومبتكرها - خالياً من فكرة الخطيئة أو الإحساس بالإنتم، حيث بدت له فكرة التوبة والمغفرة الإلهية مثاراً للسخرية والاستهزاء، وهي ليست إلا فكرة من صنع العبيد أو ذوي النفوس الضعيفة والمنحطة<sup>59</sup>.

(\*) بودا: تعني "الرجل المستنير" وتطلق على مؤسس الديانة البوذية "جوتاما سيدهارتا". يدعو إلى اغماس المرء في النيرفانا وتعني الانتفاء، وهي المرحلة التي لا يعود الفرد فيها يحس بنفسه كذات وإنما يذوب ويتلاشى في الوجود أو الحقيقة الكامنة وراء الوجود الظاهر، وهو ما يسمى "الاستنارة".

<sup>58</sup> - هنري برغسون: منبع الأخلاق والدين، مرجع سبق ذكره، ص 207-208.

وتصور الإغريق للإله جرى باتجاه معاكس للتصور المسيحي له، فبدلاً من التعذيب والتحثير الذاتي للإنسان، استخدم الإغريق لمدة طويلة آلهتهم بغية الاستمتاع بحرية النفس والتخلص من عذاب الضمير، حتى استعملوها لتبرير أعمال البشر خاصة السيئة منها، كما استعملوها لتفسير سبب الشر الذي يصيب الإنسان<sup>60</sup>. فقد ذهب اليوناني إلى تفسير الكثير من الأمور بالجنون لا بالذنب، وتفسير الأعمال التي تحتاج إلى عقوبة بأنها جراً، فكلما وجد نفسه حيال جريمة أو إثم ما، فسر ذلك بقوله: "لابد أن يكون أحد الآلهة قد أعمى بصيرة الإنسان". هكذا وظف اليونانيون آلهتهم لتبرير الفعل السيء فقط، فهي آلهة بعيدة كل البعد عن الحقد وهيلا تحمل البشر عبء العقاب وإنما عبء الخطأ فحسب؛ فلقد قال الإله (زوس) ذات مرة:

عجيب أمر بني الموتى هؤلاء عندما يتدمرون من الآلهة!

إذ يخيل لمن يسمعهم أن الشر يأتي منا وحدنا!

غير أنهم، هم بدورهم، بما يرتكبون من حماقات،

يخلقون لأنفسهم مصائبهم وشقائهم، رغم أنف القدر!<sup>61</sup>

بناءً على ما سبق تحليله، نتوصل إلى أن تاريخ التأويل الديني لفكرة الخطيئة وأصل الإحساس بالإثم هو تاريخ متعدد الدلالات، لا يتخذ منحى واحداً أو اتجاهاً واحداً. فالتأويل اليوناني الذي يرفع من شأن الحياة، وتقديرها النبيل، يتجه بتأويل الشر نحو العالم الخارجي، تحركه في ذلك إرادة فاعلة إثباتية، أما التأويل اليهودي والمسيحي والإسلامي فهو، في زعم "نيتشه"، محاولة لاقتلاع معنى الحياة من جذورها، وجعل الإنسان مريضاً ارتكاسياً مذعي الضمير، عدمي الإرادة.

وهذا التأويل الذي هو واحد في الديانات الثلاث تحركه إرادات ارتكاسية، وهي إرادات الكهنة، التي تفرض ذلك التأويل بالإكراه، بينما تستمر وراء أحقر الغايات وهي غاية السيطرة والتملك والإخضاع فكلما سادت سيطرة الكاهن تسوده بالضرورة قيم الانحطاط والانحلال. وهذه العلاقة التلازمية بين تأويل الكاهن وحلول الانحطاط الديني، توجي بأن التأويل الكهنوتي بصفة عامة هة تأويل كاذب يحوي في طياته صياغة مشروع تضليل وانتقام عنيف من الحياة ومن الإنسانية جمعاء.

### ثالثاً- المتحكمون في التأويل الديني:

بعد أن تعرفنا على أصل ومدلول فكرة الخطيئة والهدف الذي قام من أجل تأويلها، ننقل مع نيتشه إلى الكشف عن الإرادات الخفية التي تتستر خلف التأويلات والتفسيرات التي أسندت لهذه الفكرة وغيرها. لقد كان سبينوزا، وقد عاش في عصر الفيلولوجيا، سباقاً إلى الشك في مصداقية التفسير القديم للنص المقدس، سواءً التوراتي أو الإنجيلي، فلقد جرى نقل المعنى اللفظي للنص الديني إلى المعنى العقائدي، أي ما يسمى بالبرهنة على ما هو مبرهن عليه قبلاً، وفق منهجية التفسير المجازي، التي تفيد الانتقال من مدلول إلى آخر وصولاً إلى الحقيقة في معناها الديني أي إلى جوهر العقيدة. في حين رأى سبينوزا ضرورة تغيير الإشكال من: "هل النص يقول الحقيقة أم لا؟ إلى: ماذا يقول هذا النص بالضبط؟" معنى هذا، أن سبينوزا حاول إحداث تعديل جذري وهيكل في عملية التفسير والتأويل تتجاوز مرحلة الفهم المسبق للنص والذي على أساسه تتحدد قيمة التأويل، إلى مرحلة تتجاوز الفهم أو المعنى الظاهر للنص إلى المعنى النهائي له.

<sup>59</sup> نيتشه: العلم المرح، مصدر سبق ذكره، فقرة 135.

<sup>60</sup> نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سبق ذكره، ||، فقرة 23.

<sup>61</sup> -المكان نفسه.

وفيما يخص رجل الدين، يرى سبينوزا أن الحواري يزواج بين مهمة النبي ومهمة المعلم، حيث لم تكن لديه القدرة على التبشير بسيرة المسيح بوصفه نبياً استناداً إلى الآيات، إنما أيضاً السلطة المطلوبة للدعوة والتحذير بالطريقة التي يراها كل حواري مناسبة. هذا النقد السبينوزي، الذي يقصد من جهة أن تأويل رجل الدين من عند نفسه لا من عند الإله، ومن جهة أخرى أن التفسير الديني تتخفى خلفه مجموعة من العادات السيئة وجب التحرر منها، قد افتتح في الواقع عهداً حديثاً في التأويل. يأخذ مع "نيتشه" خاصةً في مجاله الديني، حده الأبعد والأعمق.

يعتقد نيتشه، أن المسؤول الأول والوحيد عن مهمة التأويل في الديانات هم الكهنة أو رعاة الأديان ورجالها. والحقيقة أن التأويل هو عمل يستلزم فناً متخيلاً، قادراً على الاستفادة من الفرص متمكناً من نفسه أكثر من تمكنه من الآخرين، متعلماً متمرساً وطاغية يسعى إلى كسب ثقة المتدينين الضعفاء والحد من قدرة الأصحاء بازديادهم واحتقارهم، ولذلك فإن أولى صفات الكاهن هي التخفي خلف مئات الأفعنة لكي يخادع العدو، وهذه الصفة هي من صفات المحارب الضعيف الذي وسيلته السلام بدل العنف والتقوى بدل السيف<sup>62</sup>. إن الكاهن يستخدم الظروف الملثوية، ويخوض حرباً دماؤه هو محركه فيها<sup>63</sup>، وهو إذ يسعى إلى ذلك يبذل جميع طاقاته من أجل انتزاع السيطرة والمجد من أولئك الذين يمتلكون القوة بين أيديهم.

كما يتميز كل رجال الدين بالإيمان الحتمية والجبر، ويتصف بالقصور في مجال الفيلولوجيا وهي التي تعني (فن القراءة الصحيحة)، وفن قدرة الوقائع بدون تزييفها من خلال التفسير، وبدون فقد الحذر والصبر اللازمين للفهم<sup>64</sup>، وإلى جانب الفيلولوجيا يتصف بمعارضته للطب، لأنهما معاً قادرين على القضاء على كل الخرافات في النصوص الدينية؛ فالفيلولوجيا تبين نشأة النص وتطوره، وتعتبر عن معتقدات الجماعة المسيحية الأولى، أما الطب فيبين أسباب الشفاء التي ظنها المسيحيون معجزات<sup>65</sup>. إن الفيلولوجي يرى ما وراء الكلمات الموجودة في الكتب المقدسة، ويكشف ما يتخفى خلفها من زيف وتحريف، والطبيب يدرك ما وراء الفساد السيكولوجي عند المتدين. تقول الأخلاق "إن العلم هو الممنوع في حد ذاته، وهو الخطيئة الأولى، وجرثومة الخطايا جميعاً، وعلى ذلك وحده تقوم الأخلاق (...). وعلى الإنسان أن يحمي نفسه من العلم وألا يفكر، ولذلك يخترع رجل الدين الحزن والموت وكل أنواع البؤس والشيخوخة والكدر والمرض..... وتلك هي طريقته ليتحرك بحرية ضد العلم، فالحزن والكآبة كفيلان بإعاقه التفكير الإنساني.

هذا، ويتصف الكاهن أيضاً بخاصية أساسية وهي فن احتقار الذات، ويسميه نيتشه فناً لأن الكاهن يستخدم أبلغ الوسائل والتقنيات التي يجري بها إلحاق الضرر وتعذيب للنفس<sup>66</sup>، بغية أن يرسخ في ذهن الإنسانية، أن احتقار الذات يزيد المؤمن رفعة وعلاء، والسيطرة على انفعال يعتبر قمة الأخلاقية. إن الكاهن وهو "المعلم" و"الفنان" بتخليه، الكامل عن شخصيته يجعل حياته أكثر سهولة ورتابة وبلادة<sup>67</sup>. وهي حياة تظهر وكأنها تتحدر نحو الموت والفناء أو العدم. وإيمانه بالمثل الزهدية تلك حركت تفسير الناس لحالاته النفسية بطريقة خاطئة، فقد جرى اعتباره كظاهرة ذات طبيعة غريبة، فوق إنسانية، وهو ما زاده على مر العصور قوة مكنته من السيطرة<sup>68</sup> تجلت في الربط بين

<sup>62</sup> نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سبق ذكره ، III ، فقرة 15.

<sup>63</sup> نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سبق ذكره ، ص133.

<sup>64</sup> صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جيدة لقراءة فريدريك نيتشه، مرجع سبق ذكره ، ص344.

<sup>65</sup> - المرجع نفسه، ص346.

<sup>66</sup> نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سبق ذكره ، فقرة 136.

<sup>67</sup> -المصدر السابق ، الفقرة 139. وإيمانه بالمثل الزهدية .

<sup>68</sup> نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ج1، مصدر سبق ذكره ، فقرة 143.

الإيمان به والإيمان بالمُعجز، بالمعنى الديني للوجود وبإحتمية يوم الحساب، على الرغم من الجانب المزيف من طبيعته، ناهيك عن البؤس الثقافي والمعرفة التافهة والصحة المريضة التي بقيت مستترة ومجهولة الجانب<sup>69</sup>.

إن مبدأ الحياة ضد الحياة، ينبغي حسب نيتشه، أن يكون نوعاً من اللغو العارض، تأويلاً أو التباساً نفسياً وقعت فيه الإنسانية، لعجزها عن فهم الطبيعة والكنه الحقيقيين لكلمة "المثال الزهدي"<sup>(\*)</sup> وفي الواقع ينشأ المثال الزهدي مع الغريزة الوقائية التي تتصف بها الحياة المتدهورة التي تسعى إلى علاج نفسها وتجتهد بكل الوسائل إلى الحفاظ على نفسها وتتأصل من أجل البقاء في الوجود وهو دليل انحطاط ووهن فيزيولوجيين، تتوتر معهما أعماق الغرائز الحياتية وأسلمها، والمثل الزهدية واحدة من تلك الحيل والوسائل، فمعها تتصارع الحياة مع الموت وضد الموت. إن الزهد يصير عنصراً من عناصر فن الحفاظ على الحياة<sup>70</sup> فعندما يعمد ذلك المعلم البارح إلى تهديم الذات إلى جرح نفسه بنفسه، فإن الجرح بالذات هو الذي يدفعه إلى التمسك بالحياة، ومقدرة رغبته بالذات هي التي تجذبه إلى الحياة وتجعل منه أداة تسعى لخلق ظروف ملائمة وموافقة لغريزته، وهي المقدرة نفسها التي تجعله يربط قطيع الخائبيين والضعفاء بالحياة، ليكون راعيهم الأمين<sup>71</sup>.

هكذا، إذن يبصر نيتشه خلف زهد الكاهن، الذي يبدو عدواً للحياة، نافعاً لها، قوة تحافظ على الحياة وتؤكد لها. إن الكاهن هو الرغبة في أعلى درجاتها، "بالتميز"<sup>72</sup>.

هذه هي صفات الكاهن أو رجل الدين، الذي يبدو طيباً ومنقذاً ورغم ذلك يقول نيتشه: "هل هو طيب حقاً، هل هذا الكائن الزاهد؟ لقد رأينا ما يفتقد إليه من أمور تحول دون استحقاقه لقب الطبيب، رغم ما يبذله من تطف وتجميل في النظر إلى نفسه بوصفه "منقذاً"<sup>73</sup>... ، ذلك الذي يؤول علة الخطيئة والألم بإرجاعها إلى الإنسان ذاته، أي ذلك الذي يحول اتجاه الحقد، فالمتألم الذي يسعى لمعرفة علة ألمه، باحثاً عن مسكن لشقائه، ينتهي به المطاف إلى الكاهن الذي يؤول علة المرض بإرجاعها إلى الإنسان ذاته نتيجةً لخطأ ارتكبه<sup>74</sup>، إنه لا يكافح إلا الألم بالذات، ليس سبب المرض أو الحالة المرضية الحقيقية<sup>75</sup>.

ويبصر نيتشه في التفسير الكهنوتي للألم إرادة نفي للحياة، تسعى إلى إنماء شعور الإنسان بالذنب متى يصبح السمة الحياتية الأساسية، وحينما يبرز الكاهن وسط ذلك الجو الحزين سيبدأ على أولئك الذين يتعذبون. وهكذا، يتجلى مع تفسير الكاهن ذلك التوحد الغريب بين العلة والمعلول والتطابق بين السبب والنتيجة، لينقلب معهما سخط الإنسان على ذاته، والإقبال ضدها باتهامها والحد من كل عزائمها.

كما يبصر نيتشه في تأويل الألم لدى الكاهن نوعاً من التطبيب الكاذب باستعمال التبرير الديني، لأن المتألمين والمرضى قد أصبحوا بموجبه أشد مرضاً وأكثر ألماً، ففي كل مكان طبق فيه الكاهن علاجه، نجد أن المرض قد

69 - المكان نفسه.

(\*) المثال الزهدي أو المثال الزهدية، في نظر نيتشه، هي مجموع القواعد أو الأساليب ذات الطابع المقدس من مثل "الطاعة الحرفية الخاملة" و"اتباع نوع من الانضباط المأذون والمقصود" يعلمها الكاهن الزاهد ونيتشه إنكار الذات وتجاهلها. فهو حسب نيتشه أي المثال الزهدي، نظام الكاهن البارح والخطير في زعزعت كل أنواع الاستياء والندم وامتتهان الذات وتعب الضمير. نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سبق ذكره، III، فقرة 18.

70 - المصدر السابق، III، فقرة 13.

71 - المكان نفسه.

72 - المكان نفسه.

73 - المصدر السابق، III، فقرة 17.

74 - جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 168.

75 - نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سبق ذكره، III، فقرة 17.

استفحل وتطور بحدّة وزخم مقلقين، مما جعل من تلك الطريقة في التأويل والمعالجة أعظم مظاهر الحط من منزلة الإنسان وإضعاف همته.

لذلك، يبدو لنيتشه أن الكاهن ذو مهارة فذة في فن التحكم بالمتألمين، يحمل البلسم والدواء، ويجرح قبل أن يعالج، وبينما يهدئ من روع ألم الجرح يعمد إلى تسميم الجرح.

وينتهي نيتشه إلى حقيقة أساسية، مفادها أن مهمة الكاهن من خلال التأويل الكاذب لعة الألم هي السيطرة، وتلك هي المهمة الخبيثة التي أعدته غريزته إليها، والتي يتحول بموجبها من حامٍ إلى جلاّد خبيث، يسعى إلى كبت العزائم، والحط من كل الإيرادات الفاعلة وترويض النفوس، ليجعل الجميع غير قادرين على إلحاق الأذى خاضعين في كل وقت لسيطرته<sup>76</sup>.

وتبعاً لذلك، فإن التفسير الديني من خلال الكاهن هو أسوأ أنواع التفاسير حسب التصور النيتشوي، إذ يحول الإنسان من إنسان مريض إلى مذب، بل يجمع بين كليهما معاً في الوقت ذاته وهو تفسير يشوبه تلاعب متقن بالألفاظ بين الألم والمرض والإثم والخلاص<sup>77</sup>.

ونظراً لهذا، نجد نيتشه يصف رجال الدين في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" بأبشع الصفات وأعنفها، إذ يقول: "إن هؤلاء [أي الكهنة] يدورون حولك بطنين الذباب يرفعون أناشيدهم تزلفاً إليك ليتحكموا في جلدك ودمك أنهم يتوسلون إليك، ويدهنونك كما يدهنون الآلهة والشياطين، فيحتالون عليك بالملاطفة والثناء وما يحتال غير الحبناء....."

هكذا يصل نيتشه في نهاية المطاف إلى الكشف عن الأفتنة التي تنتشر خلفها رجالات الأديان ورعاتها وفضح نزاعاتها، والوقوف على تقنيات ووسائل العملية التأويلية لدى الكاهن، والغايات والأهداف التي يسعى لتحقيقها.

إن التأويل لدى الكاهن لا يعتمد إذن على الجد ومحاولة الفهم الصحيح، ليصل بنا بالضرورة إلى تغيير صائب ونافذ، وإنما هو تأويل الغرض منه جعل العالم الداخلي منهكاً، متعباً مصاباً بالإعياء، ومع هذا التأويل الكاذب ينقلب حكم القيم، وتتعكس دلالة المفاهيم، فيسمى أكثر الأمور إضراراً بالحياة (صدقاً) و(نافعاً)، وما يرفع من قيمتها ويؤكدّها تنتصر (كاذباً) و(ضاراً)، وإجمالاً فإن تأويل رجل الدين تأويل خاطئ الغرض منه السيطرة والاستيلاء على إرادات من لا قداسة لديهم.

#### رابعاً- خاتمة :

وهكذا، ومن خلال تحليلنا لعناصر البحث، يمكن الوقوف على عدة نتائج نجملها فيما يلي:

أولاً: في تحليله لأصل الدين، توصل نيتشه إلى أنه لم يكن رغبة، وإنما خطأ في تأويل الظواهر، وأن البلاء الخارجي أو الخوف من غضب الطبيعة وشرها هو أول ما دفع بالإنسان أن يكون متدنياً.

ثانياً: وأن العلامة الدينية التي اعتبرت لفترة طويلة كتأويلات مقدسة قد أضحت خطيرة وخبيثة لأنها تتوجه ضد الإنسانية ومستقبل الإنسان. وأن قيمة التقويم الديني منحطة، فإن الحياة تتحول إلى صورة بائسة ومرضية وتسير شيئاً فشيئاً نحو العدم.

ثالثاً: غير أن الانشغال بالنص الديني كمؤسسة قائمة لا يهم بقدر ما يهم "المشعر" الديني وطبيعة الإرادة والغاية التي حركته، مؤسساً بذلك طريقة جديدة في القراءة نفسية خاصة للذي قام بفعل التأويل.

76- المصدر السابق، III، فقرة 16.

77- المصدر السابق، III، فقرة 20.

رابعاً: ويكشف التأويل النفسي عن مرض وانحلال ونقص ذهني يحرك إرادة "المؤول الديني" التي لا تنتج، تبعاً لذلك سوى تأويلات فاسدة ومضللة وخاطئة من الناحية التاريخية واللغوية والنفسية.

خامساً: لذلك نصل في الأخير إلى نتيجة مفادها أن تقدم إنسان، وتحضره منوط في نظر نيتشه بابتعاده عن الدين وشعائره، وضربه عرض الحائط بجميع التأويلات الدينية.

هذا، ولأن التأويل تحرك وانتقال فإنه في شكله الديني قد امتدت أسسه الواهية في قالب "عقلي" إلى التأويل الفلسفي حتى يواصل خطة انتقامه التي صاغها ضد الحياة ..

## المصادر والمراجع

### المصادر

- 1- نيتشه: إنسان مفرد في إنسانيته، ترجمة محمد ناجي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1998.
  - 2- نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1981 .
  - 3- نيتشه، العلم المرح، ترجمة حسان بورقية و محمد ناجي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1993.
  - 4- نيتشه: أقول الأصنام ، ترجمة حسان بورقية و محمد ناجي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1996.
- المراجع :
- 1- لوك ينوا: إشارات، رموز وأساطير، ترجمة فايق نقش ، منشورات عويدات ، بيروت ، 2001،
  - 2- ه.ج، روز: الديانات اليونانية القديمة، ترجمة رمزي عبد الرحمن جرجس، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1965.
  - 3- فؤاد زكريا: نيتشه" نوابغ الفكر الغربي"، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، (د.ت) .
  - 4- جيمس كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة/نيورك، (د.ت) 1979.
  - 5- أندريه نواراي: تاريخ الفلسفة منذ هيجل، ترجمة خليل أحمد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
  - 6- جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1993.
  - 7- سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسية، ترجمة، حسن حنفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1994، 4.
  - 8- أويغن فبك: فلسفة نيتشه، ترجمة إلياس بدوي ، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ، دمشق ، 1974.
  - 9- صفاء عبد السلام علي جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2001.
  - 10- هنري برغسون: منبعاً للأخلاق والدين، ترجمة سامي الدروبي وعبد الإله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1971.
  - 11- العهد الجديد: إنجيل متى، الإصحاح .
- المراجع الأجنبية :

1 .NIETZSCHE, *la volonté de puissance*, OP,cit.

2.NIETZSCHE,*l'antichrist, trad,Dominiquetassel,uniongrnerale*. d edition. 1985